تفريغ محاضرة رقم (٩١)

- شرح كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد -

للشيخ / خالد منصور

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وأشهد إن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا المصطفى محمداً عبد الله ورسوله صلوات الله وتسليماته عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه أمهات المؤمنين وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد،

ما زلنا مع كلام شيخ إلا سلام ابن تيمية رحمه الله تعالى حول حديث: (ولا تقولن لو كان كذا وكذا لكان كذا وكذا، لو أني فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل)، دا كلام تتمة لباب: ما جاء في اللو.

هو هنا قال رحمه الله: وإسم الحسنات والسيئات يتناول قسمين: فالأفعال مثل قوله: (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) والآيات التي ذكرها، والقسم الثاني: ما يجري على العبد بغير فعله من النِعم والمصائب.

يبقى جملة الحسنات والسيئات لها ترجمتين؛ حسنات وسيئات بمعنى طاعات ومعاصي، ده الجزء ده إيه؟ لسه هيجي، وجزء ثاني بمعنى نِعم ومصائب، يبقى الحسنة تساوي النعمة، والسيئة تساوي المصيبة، ده تفسير؛ الحسنة تساوي الطاعة، والسيئة تساوي المعصية ده تفسير ثاني، يبقى عايز تفهم إن كلمة الحسنة والسيئة تأتي في المصائب والأفعال، يعني فيما أصاب الله به العبد من حسن للعبد أو سيئ على العبد عقوبة له أو بلاء له وبينما كان فعلًا وكسبًا منه، وده القسم الثاني.

قال: القسم الثاني من معنى الحسنة والسيئة، ما يجري على العبد بغير فعله من النِعم والمصائب، كما قال تعالى: (ما أصاب من حسنة فمن الله) يبقى هنا الحسنة بمعنى النعمة، العطية، الحاجة الحسنة يعني الكويسة، اللي هي بتسر النفس، (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك)، طيب من الله خلقًا وتقديرًا حكمةً وإبتلاءً (وما أصابك من سيئة فمن نفسك) فمن سيئة تسببًا وإكتسابًا، عشان تفهم معنى من في قوله: (من الله) ومعنى من في قوله: (فمن نفسك)، والآية قبلها فالحسنة في هاتين الآيتين النِعم والسيئة، فالحسنة هذه الآيتين النِعم، والسيئة المصائب، خلاص؟ هذا هو الثاني من القسمين.

قال: وأظن شيخ إلا سلام رحمه الله ذكره في هذا الموضع، ولعل الناسخ أسقطه والله تعالى أعلم، ثم قال رحمه الله: فإن الإنسان ليس مأمورًا أن ينظر إلى القدر عندما يؤمر به من الأفعال، ما هو أنت مأمور بالإيمان بالقدر، ومأمور بالإلتزام الشرعي، متى يبقى نظرك متسلط على باب القدر؟ عند المصائب، ومتى يبقى نظرك متسلط على كسبك وإرادتك وفعلك؟ عند الأوامر والتكاليف، الحَول الفكري بقى هيبص على المصائب عند التكاليف، يقول لك: ما أصل هو ربنا سبحانه وتعالى قدر كل شيء، أو ينظر للقدر عند التكاليف، هو (لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء)، لا نظرك غلط، نشنت غلط، بص الناحية الثانية، ليس هذا موضع النظر في هذا المجال، لما يأمرك بالتكاليف قل: (سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير)، (اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك)، (لا حول ولا قوة إلا بالله)، تمام؟ (على الله توكلنا ربنا إفتح بيننا وبين قومنا) في الجهاد بقى والمعاني الجميلة دي، إنما عند البلاء وقلة الحيلة ولا كسب لك ولا سعي، أنت هدف، والقذيفة جاية عليك خلاص إصبر بقى وقدر الله وما شاء فعل.

فهنا بيقول: فإن الإنسان ليس مأمورًا أن ينظر إلى القدر عندما يؤمر به من الأفعال، ولكن عندما يجري عليه من المصائب التي لا حيلة له في ذمها، فما أصابك بفعل الأدميين أو بغير فعلهم فإصبر عليه، وإرضى وسلم، قال تعالى: (وما أصاب من مصيبة إلا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه)، ابن عباس بيقول: هو العبد تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم، لله يرضى عن الله، ويسلم لله.

طب ما هو نزول الأعداء مصيبة، أرضى وأسلم وخلاص بقى ولا بجاهد ولا بتكلم؟ لأ مش كده، أنت ترضى لله، ترضى عن الله وتسلم الله، وتجاهد أعدائك، مش تجزع عند نزول العدو، لأ تأخذ بالأسباب، تقول له يعني: قدر الله وما شاء فعل، إحنا (ربنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا) أو نقعد جنب الحيطة، نشتغل نجاهد ندفع أعداء الله عز وجل، ونطردهم من إيه؟ من بلاد المسلمين.

قال: قال تعالى: (ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهدِ قلبه)، ولهذا قال آدم لموسى: (أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن أُخلق بأربعين سنة.. الحديث) الذي ذكره النبي ﷺ إحتج آدم وموسى، تمام؟ فقال آدم لموسى: (بكم وجدت عندك في التوراة مكتوباً (وعصى آدم ربه فغوى)؟، قال: (بأربعين سنة)، يعني ده قدر سابق قبل ما أنخلق أنا وأنت، تمام؟ قال: (أتلومني على أمر قدره الله عَلَيَ قبل أن أُخلق بأربعين سنة؟) فحج آدم موسى، لأن موسى قال له: لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ فلامه على المصيبة التي حصلت بسبب فعله، لا لأجل كونها ذنبًا، تمام؟ لا ما هو على لماذا أخرجتنا، هو الإخراج من الجنة، ذنب ولا مصيبة؟ مخالفة ولا بلاء؟ بلاء، ذنب لأ مش ذنب، مخالفة؟ لأ مش مخالفة، أومال إيه؟ مصيبة أصاب الله بها آدم وذريتها بعد سُكنى الجنان نزل الأرض، طيب وهو بيسأله على إيه؟ بيقول له: وأنت لماذا أكلت من الشجرة؟ ولا بيقول له: لماذا؟ بيقول له: أنت أخرجتنا ونفسك، خيبتنا وأخرجتنا ونفسك من الجنة؟ تمام؟ فبيسألوا على مصيبة، طب ما كسب آدم في مصيبة؟ لا شيء، تمام؟ أدي أهو توجيه شيخ الإسلام رحمه الله، بيقول: فآدم أو فموسى لامه على المصيبة، أي لام موسى آدم عليه السلام على المصيبة التي حصلت بسبب فعله، لا لأجل كونها ذنبًا، وأما كونه لأجل الذنب كما يظن بعض طوائف من الناس، فليس مرادًا بالحديث، فإن آدم عليه السلام كان قد تاب من الذنب (والتائب من الذنب كمن لا ذنب له)، ولا يجوز لوم التائب بإتفاق الناس، تمام؟ طيب.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: فتضمن هذا الحديث أصولًا عظيمة من أصول الإيمان، أحدها: أن الله تعالى موصوف بالمحبة، وأنه يحب حقيقةً حبًا يليق به، مش يقول: هو ربنا بيحب، أنت عايز تقول لي ربنا بيحب؟ هو أنا اللي بأقول؟ هو اللي بيقول: (ويحبهم

ويحبونا)، لا أصل أنت ما أنتاش فاهم يحب دي يعني إيه؟ ولا أنت كمان فاهم يحب دي يعني إيه؟ هو إن السلف أثبتوا المحبة صفة لله عز وجل على ما يليق بالله، لا أصل الحب ده ميل قلبي، يا عم الحب بتاعك أنت اللي بتتكلم عليه أنا بتكلم على ربنا، هي دي مال دي ودي؟ هو أنت مش بتثبت لله عز وجل سمعًا وإرادةً وكلامًا وحياةً، ومش عارف كذا؟ زي بتاعة الناس ولا في فارق؟ الكلام في بعض صفات كالكلام في سائرها، أنت ليه بتنقي رجل هنا ورجل هنا؟ أعني الأشاعرة يعني المتأخرين.

قال الثاني: أنه سبحانه يحب مقتضى أسمائه وصفاته، ويحب ما يوافقها، فهو القوي ويحب المؤمن القوي، وهو وتر ويحب الوتر، وهو جميل ويحب الجمال، وهو عليم ويحب العلماء، ونظيف يحب النظافة، ومؤمن يحب المؤمنين، ومحسن يحب المحسنين، وصابر يحب الصابرين، وشاكر يحب الشاكرين، ده كلام ابن القيم رحمه الله وطيب ثراه.

قال: ومنها أن محبته للمؤمنين تتفاضل، محبة الله للمؤمنين تتفاضل على قدر ما في قلوبهم من الإيمان، فيحب الله بعض أكثر من بعض، أيوة طبعاً مش ممكن يكون السابق السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار زي عصاة المسلمين في آخر الزمان حاشا لله، لا يساوي الله عز وجل بين عبد أسرع إليه وعبد أبطأ عنه.

ومنها أن سعادة الإنسان في حرصه على ما ينفعه، سعادة الإنسان مبتدأ، في حرصه على ما ينفعه خبر عشان تفهم الجملة، أن سعادة الإنسان في حرصه على ما ينفعه في معاشه ومعاده، يبقى سر السعادة (إحرص على ما ينفعك، وإستعن بالله ولا تعجز)، خلص الكلام، ونقعد نحلل بقى وبحث السعادة عند مش عارف مين؟ وقانون السعادة عند أهل الزيادة، تبقى كلمتين خير الكلام كلام الله، خير من ترجم عن الله رسوله ﷺ تسليمًا.

يبقى سعادة الإنسان في حرصه على ما ينفعه في معاشه ومعاده، والحرص هو بذل الجهد وإستفراغ الوسع، فإذا صادف ما ينتفع به الحريص كان حرصه محمودًا، وكماله كله في مجموع هذين الأمرين أن يكون حريص، كمال الإنسان، وكمال الإيمان، وكمال السعادة، أن يكون حريصًا وأن يكون حرصه على ما ينفعه، لأن فيه إنسان حريص على ما يضره،

هو المدمن للذنوب إيه مشكلته؟ إن هو حريص على الذنب اللي عامل له مشاكل، وتقعد تكلمه وتقول له ويتوب ويعيط ويرجع يعملها ثاني، حرصًا على ما يضره، كده حصل سعادة؟ لأ، حصل شقاء عياذًا بالله، الإنسان كل شوية يعمل لنفسه مشاكل مش معاصي، وهو حريص غاوي خسارة، هو يا إما ما لكش في التجارة مش شغلك، أني أحب أن أبيع وأشتري، طب ما أنت ما تبيع وتشتري تكسب، مش عمال تبيع في الخسارة كل شوية، يقول لك: أصل أنا واخذ التجارة كابر عن كابر؛ هي فين التجارة؟ دي مش دي خسارة، (إحرص على ما ينفعك)، أنت حريص بس، بس مش على ما ينفعك وده غلط، فهنا بيبقى إيه؟ مش هتتحصل السعادة غير أن تكون حريصًا، وأن يكون الحرص على ما ينفع.

قال: أو فعله ما ينفعه من غير حرص، يعني يا راجل بلاش حرص، بس إفعل ينفعك، خلاص؟ يعني إن كنت ضعيف الحرص ما تبقاش عاجز الفعل.

قال: فإنه من الكمال بقدر ما فاته من -أو نعم أو إيه؟- فإن حرص على ما لا ينفعه، فإن حرص على ما لا ينفعه أو فعل ما ينفعه من غير حرص فاته من الكمال بقدر ما فاته من ذلك، ما هو الإيمان بيتبعض، ويتفاضل أهله فيه، واللي معه إيمان بنسبة كذا غير اللي معه إيمان بأضعاف أضعاف ذلك، فنفس المسألة هتجد حرص أهل الإيمان على ما ينفعهم أكثر من ممن هم دونهم في الإيمان، أهل الإيمان الكُمل يعني حرصهم على ما ينفعهم، يقول لك: ده فلان ما شاء الله، واخذ باله من مصلحته قوي، ما يضيعش دقيقة في الفاضي، ما شاء الله بيعمل كذا وكذا وكذا وبيحاسب، ما هوش بخيل ما شاء الله ولا إنسان وحش ولا كِشِر، وكل حاجة حلوة، الدنيا متضبطة كده، أه ما هو ده نموذج بقى عشان أنت قربت من معنى الإيه؟ التحقق الإيمان.

-وأن يكون يبقى إيه؟- فإن حرص على ما لا ينفعه، أو فعل ما ينفعه من غير حرص فاته من الكمال بقدر ما فاته من ذلك، فالخير كله في الحرص على ما ينفع، ولما كان حرص الإنسان وفعله إنما هو بمعونة الله ومشيئته وتوفيقه؛ أمره أن يستعين بالله ليجتمع له مقام (إياك نعبد وإياك نستعين)، فإن حرصه على ما ينفعه (إياك نعبد)، تمام؟ أدي معنى بقى

أهو تحقيق (إياك نعبد) وإن أنت بتحرص على ما ينفعك، كده أنت زي بتصلي وبتصوم بالضبط، حرصك على مصلحتك زي الصلاة والصوم بالضبط، حرصك على ما أوكلك الله عز وجل من رعايته من أمر شأن دنياك وبيتك وأولادك ودراستك، وقلنا الكلام ده حرصك عليه لإن أنت بتسمع كلام ربنا وبتسمع كلام النبي، زي الصلاة والصوم بالضبط، فإن حرصه على من ينفعه عبادة لله تعالى، ولا يتم إلا بمعونته، فأمره أن يعبده وأن يستعين به، فالحريص على ما ينفعه المستعين بالله ضد العاجز، فهذا إرشاد له قبل وقوع المقدور إلى ما هو من أعظم أسباب حصوله، وهو الحرص عليه مع الإستعانة بِمَن أزمة الأمور بيده، ومصدرها منه، ومردها إليه، فإن فاتهما لم يقدر أو ما لم يقدر له، الحاجة اللي فاتتك بقى وما كانتش من نصيبك؛ فله حالتان:

عجز وهو مفتاح عمل الشيطان فيلقيه العجز إلى لو ولا فائدة من لو ها هنا، في الحتة دي، بل هي مفتاح اللوم والعجز والسخط والآسف والحزن، وذلك كله من عمل الشيطان، فنهاه ﷺ عن إفتتاح عمله بهذا الإفتتاح، أوعى مفتاح الشيطان يبقى في إيدك، سيبه له بعيد عنك.

وأمره بالحالة الثانية وهي النظر إلى القدر وملاحظته عند البلاء والمصاب، اللي هي المصيبة يعني، وأنه لو قُدِر له لم يفته، ولم يغلبه عليه أحد، (ما أصابك لم يكن ليخطئك، وإعلم أن الأمة لو إجتمعت على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، ولن ينفعوك بشيء إلا بشيء قد كتبه الله لك)، فلم يبق له ها هنا أنفع من شهود القدر، ومشيئة الرب سبحانه وتعالى النافذة التي توجب وجوب المقدور، يبقى شهود القدر وشهود مشيئة الرب جل وعلا النافذة (ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن)، هذه المشيئة التي توجب وجوب المقدور، وإن إنتفت إمتنع وجوبه، يعني ما فيش موجودات أبدًا إلا ما شاء الله وجودها، أما المعدومات فهي معدومات لأن الله لم ينشأها، أو لم ينشأها، إفهم كده، يعني ما شاء الله كان وُجِدَ وحصل، كان يعني تم، مش إسم مش فعل ناسخ اللي هو اللي في النحو يعني، اللي بترفع المبتدأ وتنصب الخبر، لأ، يبقى كان هنا تم، (ما شاء الله كان) بمعنى وُجِد حصل وما لم يشأ لم يكن، فالمعدومات معدومات لأن الله لم يشأها، تمام كده؟

ولذلك لما ييجوا علماء العقائد يحلل لك يقول لك: ومشيئة الله عز وجل تتعلق بالموجودات، أيوه لأن ما شاء كان، ما شاء وُجِد، تمام؟

قال: ومشيئة الرب النافذة التي توجب وجوب المقدور وإن إنتفت إمتنع وجوده، ولهذا قال: فإن غلبك أمر فلا تقل، (لو أني فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل)، فأرشده إلى ما ينفعه في الحالين، حالة حصول المطلوب وحالة فواته، فلهذا كان هذا الحديث مما لا يستغني عنه أو لا يستغني عنه العبد أبدًا، ليه بقى ما نكلمش الناس في مثل هذا الحديث ويبقى ده محاضرة من بابها كده إزاي أتصرف مع المصاب ومع النعم ومع الحسنات والطاعات؟ ويبقى ده موضوع كامل أهو، أنت عايز إيه تقول إيه أكثر من كده يعني؟ وقرب للناس المسافة دي، وإربط الناس بالكلام ده، عشان ما يبقاش إحنا بنتكلم في وادي ومشكلات الناس في وادي ثاني.

قال: فلهذا كان هذا الحديث مما لا يستغني عنه العبد أبدًا، بل هو أشد إليه ضرورة وهو يتضمن إثبات القدر والكسب والإختيار والقيام بالعبودية ظاهرًا وباطنًا في حالتي حصول المطلوب وعدمه وبالله التوفيق.

الباب اللي بعده: باب النهي عن سب الريح

عن أُبي ابن كعب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لا تسبوا الريح، فإن رأيتم ما تكرهون، فقولوا: اللهم إنَّا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أُمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أُمرت به)، صححه الترمذي رحمه الله.

قال: فيه مسائل:

الأولى: النهي عن سب الريح.

الثانية: الإرشاد إلى الكلام النافع إذا رأى الإنسان ما يكره.

الثالثة: الإرشاد إلى أنها أي الريح مأمورة مخلوقة من مخلوقات الله، جندي من جند الله.

الرابعة: أنها قد تؤمر بخير وقد تؤمر بشر، بس ده أمر تسخير مش أمر تكليف.

طيب قوله: باب النهي عن سب الريح.

قال: لأنها أي الريح إنما تهب عن إيجاد الله وخلقه لها، وأمره التسخيري لها، كمل جملة التسخيري عشان تفهم معنى الأمر هنا، لكن هي الريح مكلفة؟ لأ مش مكلفة، دي أمر تسخيري، لأنه هو الذي أوجدها، خلقها يعني، وأمرها سخرها وسيرها، فمسبتها مسبة الفاعل، فهمت بقى المشكلة فين؟ إنك تسب الصيف، تسب الشتاء، والشتاء السنة دي مش عارف فيه؟ والحر السنة دي بقى جه يجرى له، والرياح جامدة قوي، والمطرة شديدة قوي، والبرد مش عارف كذا، هذه أفعال الله في خلقه، تمام؟ أو مفعولات الله عز وجل في خلقه الناتجة عن أفعاله سبحانه وتعالى، يبقى أنت كده الوقتي هو مين اللي جاب الثلج ومين اللي جاب المطر؟ لا الشتاء بيجيب البرد ولا الصيف بيجيب الحر، الشتاء حقبة زمنية يعني جعلها الله على هذه الصفة، والصيف فترة زمنية جعلها الله على هذه الصفة، هذه مخلوقات مدبرة بأمره سبحانه وتعالى (بيدي الليل أقلب ليله ونهاره)، ومن تقليب الليل والنهار صيف والشتاء والحر والبرد والسعادة والشقاء والراحة والتعب والكد إلى آخره، (بيدي الليل أقلب ليله ونهار).

يبقى هنا دلوقتي أنت لما يحصل أي تغيرات كونية حتى الأمور يعني مش متغيرة مستمرة لفترة طويلة مثلًا، يعني أنت تعرف إن ده بقدر الله؛ يبقى تحاول تنظر بعين القدر بقى ما تنظرش بعين الإيه؟ التكاليف ولا الأوامر والنواهي.

قال: فمسبتها أي مسبة الريح مسبة للفاعل، وهو الله سبحانه وتعالى كما تقدم في النهي عن سب الدهر، بس ما تجيش لواحد بيسبها تقول له: أنت سبيت ربنا وأنت كافر، يقصد إن ده كأنه كذلك، تمام؟ مسبتها مسبة للفاعل، في واقع الأمر، وإن كان قصد المتكلم مش كده خالص وبيذهل عنه، فالشرع نهى ليه؟ إقفل الباب عشان ما يأولش إلى تحقيق السب على الواقع يعني، كما تقدم في النهي عن سب الدهر، تمام؟ هو اللي بيقول: الزمن غدار،

والزمن جار علي، والزمن عمل في، والزمن ما لوش أمان، إلى اخره، هو الزمن اللي هو الزمن الوقت، العصر الحياة بتفعل ولا بتضر؟ هي مفعول أصلًا مش فاعل، هي مخلوق لله سبحانه وتعالى، تمام؟ فهنا لما يجي الإنسان يسب الدهر يبقى سب ربنا حقيقة فيكون كافرًا لأنه سب الله، لأ، بلاش دي عشان هي هتلف وتوصل كده، سدًا للذرائع يعني.

قال: كما تقدم في النهي عن سب الدهر وهذا يشبهه، ولا يفعله أي سب الدهر أو سب الريح والوقت والليل والنهار والحر والبرد، لا يفعله إلا أهل الجهل بالله ودينه، وبما شرعه لعباده، ويعني وبأهل الجهل بما شرعه لعباده، فنهى ﷺ أهل الإيمان عما يقوله أهل الجهل والجفاء، وأرشدهم إلى ما يجب أن يقال عند هبوب الريح.

قال: فإذا رأيتم ما تكرهون، يعني شدة ريح بدأت توقع الأشياء وتعفر، بتقلع الزرع، وتكسر في الشجر، ومن على أسطح البيوت الأشياء تتساقط، وممكن تجرح حد، الريح مفعولة مش فاعلة، الريح مخلوقة مش خالقة، الريح مُدَبَرة مش مُدَبِرة، تمام؟ (فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنَّا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أُمرت به، أو أرسلت) في بعض الروايات، وخير ما أمرت به، تمام؟ لإن في بعض الأحاديث، قال: (إن الريح من روح الله، تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب)، إن الريح من روح الله تأتي، الروح مش هي الروح، لأ، الروح حاجة والرَوح حاجة ثانية، (إن الريح من روح الله تأتي بالرحمة، وتأتي بالعذا)ب، خلاص؟ وده برضو من الإسباب اللي بتفهمك إنك ما ينفعش تسبها، تمام؟

قال يعني: إذا رأيتم ما تكرهون من الريح إذا هبت فارجعوا إلى ربكم بالتوحيد، تحقيقه يعني وتتمته، وقولوا: (اللهم أنَّا نسألك خير هذه الريح وخير ما فيها، وخير ما أُمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر فيها وشر ما أمرت به)، ففي هذا عبودية لله وطاعة له ولرسوله، وإستدفاعاً للشرور به، أنا أستدفع الشرور بالله، يعني يا رب أطلب الدفع، دي معنى الإستدفاع طلب الدفع، يعني يطلب طلب الدفع أو يطلب دفع الشرور، يطلب هذا بالله، يا رب حوش عني، إدفع عني، وإستدفاع للشرور به، وتعرض لفضله ونعمته، تمام؟ وهذا حال أهل التوحيد والإيمان خلافًا لحال أهل الفسوق والعصيان الذين حُرِموا ذوق طعم

التوحيد الذي هو حقيقة الإيمان، ولذلك لو جمعنا بقى الأذكار الموظفة في إيه؟ الشتاء والصيف والأشياء دي هنجد أشياء عظيمة جدًا جدًا.

عدى علينا قبل كده في الأبواب المتقدمة من شرح الكتاب حديث: (أتدرون ماذا قال ربكم الليلة؟) حديث زيد بن خالد الجهني في الصحيح، (أتدرون ماذا قال ربكم الليلة؟) قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: قال الله عز وجل: (أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطرنا بفضل الله وبرحمته فذلك مؤمن بي، كافر بالكوكب، وأما من قال: مُطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب)، يبقى هنا في ذكر، لما ينزل المطر تقول: (مُطرنا بفضل الله وبرحمته)، إذا إشتدت المطر، إشتدت الأمطار يقول: (اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب)، لإن ممكن المطر نفس الماء اللي هو السائل ده اللي هو H_2O ده اللي لازم من السماء هو يتحول لخصب ونماء وبركة عظيمة جدًا جدًا ويطهر الأرض من كل الميكروبات والجراثيم وأشياء ضارة جدًا جدًا وينتعش النبات والغذاء والحيوان والإنسان كل حاجة، وممكن يتحول لخبال ووبال عياذاً بالله، ويمكن إحنا شوفنا بعنينا أمم هلكت يعني، وناس دُفنت تحت إيه؟ تحت أنقاض بيوتها من جراء المطر، نفس المطر اللي هو نفع بلاد ثانية على بعد أشبار، على بعد أشبار.

فهنا بنقول دلوقتي: يبقى النبي علمنا عند المطر أن نقول: (مُطرنا بفضل الله وبرحمته)، فإذا إشتد نقول: (اللهم حوالينا ولا علينا) أو نقول: (اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب)، تمام؟

ولو عند الإستمطار بقى إن أنت تطلب المطر من ربنا سبحانه وتعالى، عند مثلًا تأخر المطر أو مواسم الجفاف، شرع لنا رسول الله ﷺ صلاة الإستسقاء، يعني طلب السقيا، يعني يا رب نزل لنا مطر تسقينا به، طيب بيقول لك: ما إحنا عندنا ترع مالية الدنيا، ما هي دي مليانة من المطر ما بتجيش من تحت الأرض، هي بتيجي من فوق يعني، فلما تستمطر ربك سبحانه وتعالى أو تستمطر رحمة الله عز وجل، يبقى أنت عايز إن الأنهار دي تجري والترع دي تُملى، والأرض اللي هي حتى الأخاديد اللي في الأرض ما هو برضه من ماء السماء، يعني كل ماء في الأرض نازل من السماء عشان تأخذ بالك، كل ماء في الأرض

فيه مالح عذب، طالع من آبار الماء، عيون كبريتية حمراء ساخنة باردة كله نازل من السماء، (وأنزلنا من السماء ماءً مباركًا)، (وأنزلنا من السماء ماءً طهورًا)، المياه اللي في الأرض كلها من السماء، وهذا من إيه؟ من عطاء الله عز وجل لخلقه.

عند شدة الريح زي ما إحنا شوفنا، وعند الغيم؛ النبي ﷺ كان بيقلق زي ما قلنا، كان إذا غيمت السماء تغير وجهه ﷺ، ودخل وخرج والسيدة عائشة تقول له: يا رسول الله إن الناس إذا رأوا ذلك إيه؟ إستبشروا، إحنا في صحراء وما بنصدق السحابة تعدي، فقال: (وما يدريني يا عائشة لعله كما قال قوم (هذا عارض ممطرنا) فقيل لهم: (بل هو ما إستعجلتم به ريح فيها عذاب أليم)).

طيب يعني هنا دلوقتي يبقى كل الفصل زي ما إحنا شايفين، ده من متممات التوحيد إما وجوبًا في بعض المواضع، زي كده في الصبر يعني على المصائب، وإما إستحبابًا زي الرضا على ما قضاه الله وقدره، وتتمة التوحيد بإيه؟ بجملة الألفاظ.

بعد كده باب قول الله عز وجل: (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور)، وقوله: (الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء) الآية.

قال ابن القيم رحمه الله إحنا لسه في الكتاب؛

الأولى يعني في الآية الأولى، قال في الآية الأولى في تفسيرها، اللي هي إيه؟ (يظنون بالله غير الحق)، قال: فُسِرَ هذا الظن بأنه سبحانه وتعالى لا ينصر رسوله، بعض الناس ظنوا هذا الظن، إن ربنا مش هينصر النبي سيسلمه لأعدائه، وأن أمره ﷺ وحاشاه سيضمحل، وفُسِرَ بظنهم إن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته، هي دي من معاني (يظنون بالله غير

الحق ظن الجاهلية)، يبقى هنا ظن الجاهلية إن الله لا ينصر دينه ولا ينصر نبيه، ظن الجاهلية إن المصائب والبلايا لا تكون بقدر الله أو بغير حكمة من الله، كذلك من ظن الجاهلية فُسِر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أو أن يتم أمر رسول الله أو أن يتم أمر رسوله ﷺ، وأن يظهره الله على الدين كله، وهذا هو ظن السوء أو السوء، الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح، وإنما كان هذا ظن السوء لأنه ظن غير ما يليق بالله، أو ظن غير ما يليق بالله، نعم، لأنه ظن غير ما يليق بالله، ظن غير بالإضافة كده، صح، لأنه ظن غير ما يليق بالله عز وجل، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق، فمن ظن أن الله يديل الباطل على الحق، أن الله يديل الباطل الإدالة أو الدُولة، يعني يجعل للباطل دولة دائمة على الحق بحيث إن الحق ما تقوملوش قومة يعني.

فمن ظن أن الله يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر إن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئةٍ مجردة، (فذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار)، أوعى تعتقد أبدًا إن ربنا يسلط الكفار على المسلمين تسليط لا مخرج منه، ده ما بيحصلش، أو تسليط بعامة، إن الكفار يسيطروا على كل الأرض، فلا يكون للمسلمين أبدًا أي حجة، لا من سنان ولا من إيه؟ ولا من برهان ولا نحو ذلك، لا ده ما ينفعش أبدًا، لا يحصل هذا، لأنه لا يزال قائم لله بحجة، تمام؟ ولا يزال في الدين طائفة قائمة بأمر الله سبحانه وتعالى.

يقول هنا: (فذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار)، وأكثر الناس (يظنون بالله ظن السوء) فيما يختص بهم، يعني واحد ما لوش دعوة لا بالحرب ولا بالضرب هي القصة تتعلق به هو، فدائمًا يسيء الظن بربه سبحانه وتعالى في خاصة نفسه، وأكثر الناس (يظنون بالله ظن السوء) فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله، إزاي؟ بأسمائه وصفاته وموجب حكمته وحمده، أو وموجب حكمته وحمده،

فليعتلي اللبيب الناصح لنفسه بهذا، الراجل اللي عايز بقى يعني يبقى موقفه من ربنا موقف صحيح، لابد أن يتعرف على أسماء الله عز وجل بالضوابط الشرعية المعروفة، لابد أن يعرف حكمة الله سبحانه وتعالى، تمام؟ لابد أن يعرف أن الله عز وجل يعني ناصر دينه لا محالة، معاني لازم يستحضرها، تمام؟ وليتب إلى الله ويستغفره من ظنه بربه ظن السوء، ولو فتشت من فتشت، لرأيت عنده تعنتًا على القدر وملامة له، بس ما بيتكلمش، نعمل إيه بقى؟ أدي الله وأدي حكمته، ما بيقولش أدي الله أدي حكمته إقرارًا بالقدر، لا يعني هو أنا ما باليد حيلة، هي جيت كده بقى إحنا هنعمل إيه؟ ده نوع من أنواع الملامة بالقدر وده مذموم من الناس.

ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتًا على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، هيبدأ يعدل على ربنا بقى، وفلان ده ينفع يعمل كذا كذا واللي طالع لنا إمبارح ده وده ابن مين ده؟ ولا جاي منين ده؟ وبيقول كده ليه يعني؟ وطبعاً من الجهالات والضلالات المفرطة الأمثال الشعبية بقى اللي هي ضاربة بجذورها في عمق الجهالة، "يدي الحلق للي بلى آذان"، يعني أنت لو أنت اللي هتدي الحلق للي بلا آذان أنت هترتبها صح؟ ده دي كفر، هذه المقالة كفر عياذًا بالله، لكن طبعاً القائل مش فاهم حاجة أهو عمال يخرف وخلاص.

فبيقول هنا شيخ الإسلام ابن القيم: لو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتًا على القدر وملامة له، وأنه يعني لوجدت عنده أنه يعتقد أنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، وتبقى دي تيجي الناحية دي ودي تنعمل الناحية دي، فمستقل ومستكثر ده حال الناس، الناس مستقل من هذا الخطأ ومستكثر منه، وفتش في نفسك هل أنت سالم؟ فإن تنجو منها تنجو من ذي عظيمة؛ وإلا فإني لا أخالك ناجيًا، فإن تنجو منها يعني لو ربنا عداك من الأزمة دي يبقى أنت كده عديت.

فإن تنجو منها تنجو من ذي عظيمة، وإلا فإني لا أخالك، أخالك بمعنى أظنك، فإني لا أخالك ناجيًا.

قال: في هذا الباب مسائل:

الأولى: تفسير آية آل عمران اللي في الباب.

الثانية: تفسير آية الفتح التي إستدل بها.

الثالثة: الإخبار بأن أنواع ذلك أي أنواع ظن السوء الواقعة في الناس لا تنحصر، أو لا تحصر.

الرابعة: أنه لا يسلم من ذلك إلا من عرف الأسماء والصفات وعرف نفسه.

فإحنا محتاجين نعمل دراسة على الإنسان، إيه هو الإنسان؟ وإيه خصائصه؟ وإيه طبائعه؟ ده المهم أنه يتعمل، هتفضل طول عمرك كده يعني متصور الإنسان اللي هو في دماغك ده، ما هو أنت فاهمك ده كامل؟ يعني معرفتك بنفسك وبالإنسان الذي هو مخلوق لله، معرفة صحيحة ولا قاصرة؟ والله ما حدش إمتحني في الموضوع ده قبل كده، أيوة أنت ما قرأتش عشان تمتحن، وما سمعتش عشان نسألك، هو أنت كده عندك تصور خاص وعاش، عش به، فكل ما تسمع (يا أيها الإنسان)، (هل أتى على الإنسان) ولا (والعصر * إن الإنسان لفي خسر)، أنت فاكر الإنسان اللي في دماغك ده اللي هو نموذج رديء جدًا، وبسيط، لأ الإنسان دا مخلوق عجيب جدًا، ولذلك يعني بعض العلماء والحكماء يقولوا: الإنسان هو العالم الصغير، عايز تدرس الدنيا كلها، إدرس الإنسان.

ومن الكتب الجميلة اللي أنا بأنصح بقراءتها، يعني كتاب لطيف قوي قوي إسمه -الواد شاغلني قوي اللي عمال يخبط برة ده ربنا يصلح حاله، ما اعرفش بقى هو اللي طلع بقى هو حد حد بنفض الله يهديهم ويصلح حالهم-

فبنقول هنا: كتاب إسمه تفصيل النشأتين وباب السعادتين، للراغب الأصفهاني رحمه الله وطيب ثراه، تفصيل النشأتين وباب السعاديتين، كتاب رائع أهو بتاع ١٣٠ أو ١٤٠ صفحة كده يعني إيه؟ تقزقزه على الواقف كده بسرعة، ده كتاب جميل جدًا جدًا، ومن الكتب العظيمة الراجل متقدم يعني من وفيات ٤٣٠ هجريًا، الراغب الأصفهاني؛ تفصيل النشأتين وباب السعادتين، تقريبًا تقريبًا ابن القيم عامل كتاب طريق الهجرتين كله من خلال الكتاب

ده، يعني ده يعني المادة الخام لكتاب طريق الهجرتين، وطبعاً ابن القيم يعني قدره وفضله لا يُجْحد، لكن دي تُعَد من بذور الإيه؟ الثقافية لابن القيم في المسائل دي، أه تمام؟

فدي مسائل مهمة أنها تُدرس ويمكن ربنا سبحانه وتعالى يرزقنا نأخذ إيه؟ مع بعض في الكتاب ده بعض الأشياء، كتاب عظيم جدًا جدًا.

طب عايز تأخذ حاجة آمنة بقى ما فيهاش ولا كلمة؟ بس كتاب كبير قوي، يعني هنا مفتاح باب الإيه؟ طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم، ده بس يجي بتاع ألف صفحة يعني حاجة شيلة كده، فخلينا في أبو ١٣٠ صفحة دا يلم الموضوع، وكلام سهل وبسيط.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يعلمنا واياكم ما ينفعنا، ونأخذ إن شاء الله تفاصيل الباب لإنه طويل شوية من كلام ابن القيم في الحلقات القادمة.

نكتفي بهذا القدر.

هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً